لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي ان يزن
ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد يترجح العزلة وقد
يترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك
اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون
الا الى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا
للعبادة وفرارا من الشواغل **الفائدة السادسة من المخالطة** التواضع
فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار
العزلة فقد روي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين
مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله تعالى الى نبيه قل
لفلان انك قد ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد
في سرب تحت الارض قال الان قد بلغت محبة ربي فاوحى الله تعالى الى نبيه قل له
انك لن تبلغ رضاي قال فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم
واكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله تعالى الى نبيه الان
بلغ رضاي • فكم من معتزل في بيته وباعثه التكبر ومانعه عن المحافل ان لا يوقر
ولا يقوم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس
وقد يعتزل خيفة من ان تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال
بالعبادة فيتخذ من البيت سترا على مقابحه على اعتقاد الناس في زهده وتعبده
من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء انهم يحبون الزوار
ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم
على ابوابهم وطرقهم وتقبيلهم ايديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال
بنفسه هو الذي يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم له كما
حكينا عن الفضيل حيث قال وهل جئتني الا لاتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الاصم
اذ قال للامير الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله
تعالى فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد للالتفات
الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه احدها
ان التواضع والمخالطة لا تنقص عن منصب من هو كبير بعلمه او دينه
اذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه وبيده ويقول لا ينقص
الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله وابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود
رضي الله عنهم يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق وغيره على اكتافهم وكان

يقول ابو

يقول ابو هريرة رضي الله عنه وال والحطب على راسه طرقوا للامير؛ وكان سيد المرسلين
صلوات الله عليه وسلامه يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه
اعطني احمله فيقول صاحب الشيء احق بحمله، وكان الحسين بن علي رضي الله عنهما
يمر بالسؤال وبين ايديهم الكسر فيقولون هلم الى الغداء يا ابن رسول الله فكان يجلس على
الطريق وياكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المتكبرين **الوجه الثاني**
ان الذي شغل نفسه بطلب رضاء الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه
لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وان ضرره ونفعه بيد الله
سبحانه وتعالى فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله
سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضاء الناس غاية لا تدرك فرضاء الله اولى بان
يطلب ولذلك قال الشافعي قدس الله روحه ليونس بن عبد الاعلى رحمه الله والله ما اقول
لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر ما يصلحك فافعله ولذلك
قيل، من راقب الناس مات غما، وفاز باللذة الجسور، ونظر سهل الى واحد
من اصحابه فقال له اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت
الى اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط
الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه،
وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه قال الشافعي قدس الله روحه
ليس من احد الا له محب ومبغض فاذا كان هكذا فكن مع اهل طاعة الله تعالى،
وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات
كلامك وتعنتك في السؤال فتبسم وقال هون على نفسك بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن
وطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم
ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم، وقال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب احبس عني السنة
الناس فقال هذا شيء لم اصطنعه لنفسي فكيف افعله بك، واوحى الله سبحانه وتعالى
الى العزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الناس لم اكتبك عندي من
المتواضعين فاذا من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس واقوالهم فيه
فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاذا لا تستحب العزلة
الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالط الناس
لضاعت اوقاته او كثرت آفاته وتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في
اختيار العزلة فينبغي ان تتقى فانها مهلكات في صورة منجيات **الفائدة السابعة**

Copyright © King Saud University